الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة-
كلية الآداب واللّغات

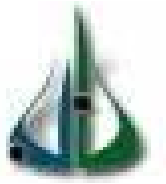
جامعة البويرة

Ministère d'Enseignement Supérieure
et de la Recherche Scientifique
université AKLI Mohand Oulhadj –BOUIRA-
Faculté des Lettres et des langues

معهد الآداب و اللغات
قسم اللّغة و الأدب العربي

دراسة المفارقات الزمنية في رواية "دمية النّار"

لبشير مفتي

مذكرة لنيل شهادة الليسانس في اللّغة و الأدب العربي

إعداد:
-عامر عقيلة
-زويتن فوزية

إشراف الأستاذة :
مديحة خالد

السنة الدراسية 2014/2013م

كلمة شكر وعرفان

إنّ أصدق وأعطر وأرق شكر لمن لم ينم النهار ولا الليل، لمن زرع طريقنا ورواداً إلى الله سبحانه جلّ وعلّى وأتمّ نعمته علينا ويسر أمرنا بالحق المبين .

كما نتقدم بأخلص وأعذب شكرٍ وتقدير بعطر الياسمين نبعثها بكل حب و وّد، لمن كانت المعين ومفتاح عملنا المتواضع ولم تبخل علينا بجهد أو أفكار أو علم أو حتى ابتسامٍ ودعمٍ معنوي في كل صغيرة وكبيرة من هذا العمل إلى أستاذتنا وقدوتنا بنصائحها السديدة الأستاذة المحترمة : **مديحة خالد** نتقدم لها بالشكر والعرفان ونسأل الله تبارك و تعالى أن يعلي مراتبها أكثر فأكثر، شكراً لك.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في إنجاز عملنا هذا من أساتذة او زملاء.

إهداء

فتحت قلبي لأكتب أحلى الكلمات لأعبر بها عن ما يختلج صدري:

إلى وردة نادرة أنعش عطرها قلبي إلى ينبوع الدفء والحنان إلى أمي أطال الله في عمرها

إلى من كلله الله بالهيبة و وقار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار إلى أبي الحبيب أطال الله في عمره و أمده بالصحة و العافية.

إلى من تحملني و دعمني في كل خطوة خطوتها شكراً لأغلى انسان إلى توأم الروح « BSH ».

إلى شقيقاتي الرقيقات (نصيرة، زهرة، نعيمة، فايزة، صبرينة، امينة)

إلى اخوتي الأعزاء : (مسعود، ميلود ، مصطفى، نور الدين، فاتح)

إلى من ستكون أمي الثانية والتي لم تبخل بدعائها و مساندتها لي في مشواري الدراسي أمي (حدة) و بدون أن أنسى أبي (لخضر)

إلى من كانت رفيقة دربي و صديقة عمري و شقيقتي إلى من قاسمتني

لحظات عمري و قاسمتني جميع مراحل مشواري الدراسي

بحلوه و مره(عقيلة) بدون أن أنسى عائلتها كبير اًو صغيراً

إلى من كانتا معنا في كل صغيرة وكبيرة **نبيلة بركاتي وبشرى خبيزي**

زويتن فوزية

إهداء

أحمدك ربي حمداً يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك ولقوله تعالى: " وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا " .
إلى من جرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب، إلى من كلت انامله ليقدم لنا لحظة سعادة، إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم إلى القلب الكبير والدي "محمد" أطال الله في عمره .
إلى من أرضعتني الحب و الحنان إلى رمز الحب و بلسم الشفاء إلى القلب الناصع بالبياض أمي "قايمة" أطال الله في عمرها.
إلى القلوب الطاهرة الرقيقة و النفوس البريئة إلى رياحين حياتي إخوتي : (يوسف، أبو بكر، حمزة، فاطنة، شهيرة، فاطمة)
على أصل الحب ومنابع الحكمة أجدادي أطال الله في عمرهم.
إلى من لا طعم للحياة دونهما لأنهما شمعتا بيتنا و زهرتا بستاننا إلى بنات أختي "منار "و "دعاء" .

إلى أختي قبل أن تكون صديقتي " فوزية" و على عائلتها الكريمة إلى كل أقاربي من عائلة **عامر** و **بلحسل**
إلى الذين كانوا عوناً لنا في بحثنا هذا و نوراً الذي يضيء الظلمة التي كانت تقف في طريقنا
إلى من زرعوا التفاؤل في دربنا و قدموا لنا المساعدات والتسهيلات، لهم منا كل الشكر أصدقائي (نبيلة ، فاطمة، صابرة، بشرى، ساعد، حمزة، فضيلة)
إلى كل من نسيهم قلمي و تذكرهم قلبي أهديهم هذا العمل المتواضع.
شكراً

عقيلة عامر

مقدمة

مقدمة:

تعدّ الرواية من أكثر الأجناس الأدبية تداولا وقربا للقارئ بأنواعه، سواء صغاراً أم كبارًا فأكثر ما يجلب انتباه الصغار إليها تلك الحكايات التي يتشوقون لسماعها لما تحمله من متعة جمالية أو رونقاً يشد انتباههم .

لذلك تعتبر الرواية من أهم الفنون الأدبية انتشارا لما لامسته من أحداث واقعية جعلتها تحتل أرقى الأماكن مقارنة بالأجناس الأدبية الأخرى، وهذا راجع لما تعالجه من قضايا اجتماعية وفكرية، ثقافية وسياسية، ولمَّا كانت تحتل هذه المكانة المرموقة على مستوى الساحة الأدبية، أردنا أن نقف عند احدى روائع الروائي الجزائري " بشير مفتي" وهي رواية "دمية النَّار" فما دفعنا لإختيار هذا الموضوع سببين أحدهما ذاتي ويمثل في شغفنا لقراءة الرواية التي عالج فيها الروائي حقبة تاريخية لواقع الجزائر، وكشف بعض الحقائق التي لا تظهر للعيان، أما السبب الموضوعي يتمثل في استعمال الروائي للغة العامية (الدارجة) والفحصى، بأسلوب جمالي، وألفاظ سهلة ومعاني دقيقة وقوية.

وقد جاء بحثنا بعنوان "دراسة المفارقات الزمنية في رواية دمية النار لبشير مفتي" بحيث تناولنا في هذا البحث عنصر الزمن الذي يعتبر عنصراً فنياً وجمالياً للرواية، وهذا ما استدعى منا دراسة العلاقة الموجودة بين زمن الحكاية وزمن الخطاب، فالأحداث الطبيعية لا يرتبها الكاتب دائما تصاعدياً بل يكون هناك تقديم وتأخير للأحداث حسب منظور ورؤية الكاتب، ولذلك طرحنا الإشكالية التالي كيف تكون الأحداث الطبيعية في الحكاية؟ وكيف لعبت المفارقات الزمنية دوراً جمالياً ودلالياً على مستوى الرواية ؟

واستجابة للإشكالية جاء بحثنا مقسَّماَ على الشكل التالي مقدمة، تمهيد، فصلين وخاتمة وجاءت المقدمة عرضاً لإشكالية البحث ومنهجه المتبع فقد استعنا بالمنهج البنيوي في تطبيق آلياته إضافة إلى استعانتنا بالمنهج السردي من خلال المصطلحات المتداولة في البحث خاصة ونحن بصدد تحليل مدّونة سردية، أما التمهيد فخصصناه لتحديد مصطلح المفارقات الزمنية، والتعريف بالروائي مع تقديم ملخص شامل للرواية، بينما الفصل المعنون بماهية الزمن الروائي وأنواعه هو الآخر قسم إلي مبحثين : المبحث الأول قمنا بتعريف الزمن لغة

وإصطلاحاً، بينما خصصنا المبحث الثاني لدارسة أنواع الزمن والذي بدوره انقسم إلي قسمين أزمنة داخلية تتمثل (زمن القصة، زمن الخطاب، زمن القراءة)، وأزمنة خارجية هي (زمن الكاتب، زمن القارئ و الزمن التاريخي).

أما الفصل الثاني جاء بعنوان تجليات المفارقات الزمنية في رواية " دمية النَّار" الذي يعد فصلا تطبيقاً نحاول فيه إسقاط هذه التقنية. –المفارقات الزمنية– على النص السردي المنتقى والذي بدوره انقسم إلي مبحثين، المبحث الأول عرفنا فيه السرد الاستنكاري "الاسترجاع" الذي ينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام: (استرجاع داخلي، استرجاع خارجي، استرجاع مزجي) مع أخذ نماذج والتطبيق عليها، ثم المبحث الثاني عرفنا فيه السرد الاستشرافي "الإستباق" الذي جاء مقسماً إلى قسمين: (الاستباق الخارجي، الاستباق الداخلي) مع نماذج توضح ذلك.

وكان سندنا في هذا البحث مجموعة من المصادر والمراجع التي مكنتنا من تجاوز الصعوبات منها: "أحمد حمد النعيمي" في كتابة " إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة " و" مها حسن القصراوي" في كتابها "الزمن في الرواية العربية " و بوعلي كحال " معجم مصطلحات السرد" و حسن البحراوي " بنية الشكل الروائي (فضاء الزمن ، الشخصية)،إضافة إلى عدة مراجع أخرى تطرقت إلى الدراسة الزمنية وهذا ما ساعدنا كثيرا في الإلمام بكافة جوانب هذا العمل.

وفي الأخير لا يسعنا سوى التقدم بالشكر الجزيل للأستاذة الكريمة "مديحة خالد" التي كانت نعم المشرفة والمعين والداعم لنا بتوجيهاتها ونصائحها ودعمها المعنوي في في كل كبيرة وصغيرة في هذا البحث، ولا ننسى أيضا الأستاذة الكريمة "آيت ساحل كهينة" لدعمها وتوجيهما لنا.

تمهيد:

1-تعريف المفارقات الزمنية:

انطلاقا من عنوان البحث ارتأينا تقديم لمحة وجيزة لبيان ماهية المفارقات الزمنية، وذلك لكي نزيل الغموض والإبهام عن مصطلحي المفارقة والمفارقات الزمنية لتوضيح الصورة للقرّاء، فالمفارقة Anachronie نشأت بداية في اليونان لأن المقابل الأجنبي للمفارقة هو Paradox وهو يوناني الأصل ويتكون من مقطعين وهما الرأي/ المخالفة أو الضد أي para /doxa وهذا ما أجمعت عليه فيما بعد المعاجم العربية فالمفارقة تعني رأياً مخالفاً يترجم رأي شخص يريد من ورائه إثبات وجهة نظر مخالفة حباً في الظهور، وخير معبر عن المفارقة ببساطة وإيجاز مع دقة المعنى "رأي مخالف للرأي الشائع ورأي الإجماع، رأي مفارق" [1].

أما بالنسبة للمفارقات الزمنية ANACHRONIES DE TEMP يعرفها عبد المالك مرتاض بأنها تقنية من التقنيات التي" تدل علي كل أشكال التنافر والاختلاف بين ترتيب زمن القصة وزمن الخطاب"[2].

وهذا يعني أن هناك اختلاف بين ترتيب زمن الأحداث في القصة و ترتيبها في الخطاب الروائي وليتحقق ذلك يجب توفرها على عناصر وهي:

- الراوي: بشير مفتي.
- المروي: السيرة الذاتية "رضا شاوش".
- المروي عليه: المنتقي "القارئ".

2-التعريف بالروائي : "بشيرمفتي"

هو كاتب وصحفي جزائري ولد عام 1969م، بالجزائر العاصمة، أصدر العديد من الأعمال القصصية والروائية، من بينها أرخبيل الذباب 2000م، شاهد عتمة 2002م، بخور السراب 2005م، أشجار القيامة 2007م، خرائط لشهوة الليل 2009م، دمية النَّار 2010م، أشباح المدينة المفتولة 2012م.

كما أنه ترجم بعض أعماله إلي اللُّغة الفرنسية، وله عدَّة مساهمات في الصحافة العربية والجزائرية.[1]

---

[1] المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط1، 2000، ص 1088.

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، البحث في تقنيات السرد، دار الغرب للنشر والتوزيع، د ت ط، ص 252.

[1] زينب القبني، الرواية والتاريخ آراء روائيين جزائريين في الموضوع مجلة الثقافية، منشورات وزارة الثقافة، ع 09، يناير 2007، ص 148.

3-ملخص الرواية:

رواية "**دمية النَّار**" للكاتب الجزائري بشير مفتي، تدور أحداثها في الجزائر في فترة الممتدة ما بعد الاستقلال أثناء حكم الرئيس الراحل " **هواري بومدين** " إلى غاية العشرية السوداء، لذلك هي عبارة عن سيرة ذاتية جسّد بطولتها السيد " **رضا شاوش** " الذي كانت طفولته مظلمة في كنف والد متعصب ومتزمت (جلاد)، حتى مع عائلته، وأم حنونة ومكسورة الخاطر وضعيفة أمام جبروت زوجها، وأخ أكبر متهور ولعوب وغائب عن البيت معظم الوقت، وجارة جميلة ورقيقة وناعمة وهي "رانية " وزميل دراسة سعيد بن عزوز غيور وحسود.

وانتقالا إلي مرحلة الشباب التي كانت مضطربة ومعقدة وغير مستقرة للأسباب التي ذكرناها آنفا، فبقي رضا شاوش على حبه لرانية مسعودي التي تزوجت بشخص ثري وابتعدت عن الحي وعن أخيها الظالم.

لكن الرواية في معظمها تحكي آراء ومواقف سياسية ونفسية لرضا شاوش الذي كان يكره والده بسبب تسلطه وظلمه. لكنه فيما بعد أصبح أكثر وحشية خاصة بعدما اغتصب رانية دون أن يرف له جفن، و مضى في حياته دون الالتفات إلى خلفه، ثمّ عرض عليه سعيد بن عزوز الانخراط في صفوف جماعية تعمل في الخفاء وفي كل مرة تتبنى شخص ليكون دمية، وكان في هذه المرة رضا شاوش صاحب هذا المنصب القذر، فجلّ الأعمال الموكلة إليه من طرف الرجل السمين كانت أعمالاً ضد الأخلاق وضد الأعراف، فعمل بها مدة طويلة، لكن ضميره في كل مرة يؤنبه، فقد أحس أنه عبارة عن دمية من نَّار، وهذا سبب تسمية الرواية فهو " دمية" لأن قراراته لم تكن بيده بل بيد جماعة خفية حتى هو لم يكن يعرفها، ومن " نار" بسبب أعماله الشديدة الوساخة، فأصبح يطمع في كل مرة على الأكثر. فقام بقتل الرجل السمين، وأخذ رضا شاوش كرسي الزعامة، وفي الأخير عرف بأن رانية مسعودي تزوجت من سعيد بن عزوز وأنجبت طفلا الذي ليس بطفل سعيد بن عزوز، بل ابن رضا شاوش من ذلك اليوم المشؤوم، وبعدها أختطف من طرف جماعة متطرفة فهدد بالقتل من طرف ابنه والجماعة التي يعمل معها.

الفصل الأول:

ماهية الزمن الروائي و أنواعه

المبحث الأول : تعريف الزمن الروائي

المبحث الثاني : أنواع الزمن الروائي

المبحث الأول: تعريف الزمن لغة واصطلاحا

أ) لغـــة:

جاء في لسان العرب **لإبن منظور** أن « الزمن أو الزمان، مأخوذة من الفعل أزمن أي طال عليه الزمن، وهو اسم لقليل أو كثر الوقت، والجمع أزمُن وأزمان وأزمنة وزماناً زامن: شديد والزمن استغرق سمي دهراً وأول الزمن يدعي بالأزل، والقادم منه يعرف بالأمد» [1].

وهناك تعريف آخر **للفيروز أبادي** في قاموسه المحيط « الزمن اسم لقليل الوقت وكثيره، والجمع أزمان وأزمنة وأزمن، ولقيته ذات الزمين، وأزمن بالمكان: أقام به زمنا، والشيء إذا أطال عليه الزمن، يقال مرض مزمن وعلة مزمنة، والزمان، الوقت قليله وكثيره. ويقال السنة أربعة أي فصول» [2].

بحثنا في مادة الزمن بدافع النّظر في رأي "ابن منظور" و" الفيروز أبادي" وذلك لوجود أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينهما.

يظهر وجه الشبه في ارجاعهما أصل الزمن للفعل أزمن الذي دلّ على كثير الوقت وقليله، فجمعها للزمن أزمن، أزمان، وأزمنة، وفي هذين التعريفين العديد من المعاني، أما أوجه الاختلاف تظهر في أن الفيروز أبادي ربط الزمن بعنصر المكان، فقال: أزمن الشخص بالمكان أي أقام به.

ب) اصطلاحا:

يعد الزمن من أهم العناصر المشكَّلة لبنية الرواية، فكل حدث سواء جاء منطوقا أو مكتوبا يقترن بوجود نظام زمني، فالزمن « يكتسب معاني مختلفة بل متشبعة ومتباينة كذلك، ولو أراد الدارس أن يدقق على الزمن بمعاينة متباينة، لصعب عليه الأمر حتى ولو نذر حياته للوقوف على هذه المسألة، فالزمن يأخذ أبعاد شتى في الفلسفات المختلفة كما أن للزمن معاني، علمية، دينية، واجتماعية» [1].

ومن أشكال الزمن نأخذ مثلا زمن الرواية الذي من خلاله نطل على الآداب القديمة والحديثة، فالزمن هو الذي يسمح بالتنقل بين أركانه وزواياه، لذلك أنصب اهتمام معظم النقاد والروائيين على عنصر الزمن حيث جعله البعض « نافذة يمكن أن نطل منها على الرواية، ومشكلاتها وقضاياها» [2].

المبحث الثاني : أنواع الزمن الروائي

يصنف تودوروف الأزمة إلى صنفين:

---

[1] ابن منظور، لسان العرب ، ج07-08، ط4، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2005، ص 60،61.

[2] فيروز أبادي، القاموس المحيط ، ج4- د ط، دار الجيل ، بيروت، د،ت ،ص 633،634.

[1] أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت: الصنايع، 2004، ص 16.

[2] صالح ابراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، د.ط، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، 2003، ص124.

1) **أزمنة داخلية:** وهي بدورها تنقسم إلى:

أ- **زمن القصة** : «هو زمن المادة الحكائية في شكلها ما قبل الخطابي، إنه زمن أحداث القصة في علاقاتها بالشخصيات والفواعل»[3].

فهو زمن حدوث القصة أي سابق لعملية الكتابة لأنه ينتقل بالأحداث من الواقع ويعبر عن الأحداث المتخيلة حسب منحى منطقي كرونولوجي خاضع لمبدأ السببية، وهو أيضاً «جملة الأحداث التي تدور في إطار زماني ومكاني ما. ونتخلق بشخصيات من نسيج خيال السارد وتنتج لديها ردود أفعال وتصرفات»[4].

فالحكاية هي: «المنظومة الأولية بما تملكه من وقائع وأحداث لها زمنها الخاص»[5].

لذلك يصعب على السارد أن ينقل الأحداث كما وقعت لأن زمن الحكاية وهو " زمن التجربة الواقعية والمدركة ذهنيا" [1]. جاء هذا القول لبيان الفرق الواضح بين الحكاية والقصة فالحكاية هي الأحداث والوقائع الأولية، والقائمة بذاتها، أما القصة فهي عبارة عن استذكار واستحضار تلك الأحداث في زمن أخر.

ب- زمن الخطاب (السرد): Temps de discours

الملاحظ هنا أنه نادراً ما يتطابق ترتيب الأحداث في القصة مع مقابله الخطاب لأنه يصعب اسقاط زمن متعدد الأبعاد على زمن خطي بدون أحداث أو تغيرات أو انحرافات ومواكبة التتابع الطبيعي للأحداث، وفي زمن الخطاب يغير السارد في الأحداث على عكس ما جرت في الواقع، وذلك وفق « تصور جمالي أو مذهبي يجعله يتصرف في تنظيم هذه الأحداث في نطاق نصه القصصي» [2] .

ليس بالضرورة أن يتقيد الكاتب بالترتيب المنطقي لتسلسل الأحداث وهذا ما يستدعي كسره لذلك النطاق لأن خط الزمن في الخطاب سيقطع في يد الكاتب حسب مجريات الأحداث، والشخصيات في الرواية « يقتضي الانتقال من واحدة إلى أخرى وترك الخط الزمني الأول للتعرف على ما تفعله الشخصية الثانية أثناء معايشة الشخصية الأولى لحياتها»[3].

---

[3] سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2011، ص49.

[4] سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، د.ط، الدراسة التونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 77.

[5] القصراوي مها حسن، الزمن في الرواية العربية المعاصرة، د.ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الجزائر، الأردن، 2004، ص 56.

[1] سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، ص47.

[2] سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ص 79.

[3] سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1954، ص 37.

وهذا ما يجعل من تحليل الخطاب الروائي صعباً على الصعيد الزمني « كون الخطاب زمنياً يتعامل مع القصة تعاملاً مختلفاً عمَّا اعتدناه، فتفسير البناء الخطي التسلسلي عن طريق ما نختزله في (اللعب الزمني) كتقنية في بناء النص سمة مشتركة في الروايات»[4]. ومن خلال ذلك يتبين لنا أن الخطاب الزمني هو ما يسمح للكتاب للعب بمجريات الحكاية أثناء قصّها وذلك لاختلاف الزمن بين الحكاية الأولية والقصة التي تأتي فيما بعد.

ج-زمن القراءة : Temps de lecture

يأخذ زمن القراءة جمالية وقوة تأثيره إذا نظرنا إليه ضمن أنواع الأزمنة الأخرى في الرواية. يقول أحمد النعيمي: « وهو مقدار الزمن محدداً بالساعات، الذي استغرقه القارئ في قراءة الرواية، وإذا نظرانا إليه مستقبلاً عن قيم الأزمنة الأخرى في الرواية، فإننا نجد تأثيره علي الرواية ضئيلاً نسبياً وهو أساس اقتصادي أكثر منه جمالي»[1]. يعتبر زمن القراءة الأضعف مقارنة بسابقيه باعتباره لا يؤثر علي الرواية أي ليس له علاقة مباشرة مع الرواية فقط من الجانب الاقتصادي أي ما تحققه من مبيعات.

2) أزمنة خارجية : تنقسم إلى:

أ- زمن الكاتب : Temps de l'écrivain

أما فيما يخص هذا النوع من الأزمنة هو عبارة عن " عدد الساعات التي يستغرقها المؤلف في كتابة روايته وتأثيرها المباشر على الرواية، يخرج عن نطاق المشكلات الفنية البحتة وأهميتها على الأكثر -تجارية- ونحن لا نعرف مقدار هذا الفن على الأغلب، إلا إذا أفصح عنه الكاتب أو أحد الذين عايشوه، أثناء كتابة الرواية"[2].

لذلك نجد ظروفا خارجية تتحكم بالرواية سواءاً ظروف خاصة بالروائي أو ظروف خاصة بالرواية في حد ذاتها كالطباعة والوقت الذي تستغرقه وحتى النشر، وهذا ما لا يظهر إلا إذا أفصح عنه الروائي بنفسه .

ب- زمن القارئ : Temps de lecteur

وهو « المسؤول عن التفسيرات الجديدة التي تعطى للأعمال الماضية» [1] . جاء هذا القول لبيان التأويلات والشروحات التي يقدمها القرّاء للرواية، فكلما قرأت الرواية تكشف خبايا، ومعالم جديدة كل ما مرّ زمن على الرواية فهناك روايات لا تموت أنها تحمل في طياتها ماضياً وحاضراً وحتى مستقبلاً.

ج- الزمن التاريخي : Temps de historique

---

[4] سعيد يقطين، المرجع السابق، ص 58.

[1] أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ص22.

[2] المرجع نقسه، الصفحة نفسها.

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (فضاء الزمن، الشخصية)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1990، ص114.

هذا النوع " يظهر في علاقة التخيل بالواقع "[2] . والمرجعية التاريخية سمة لصيقة بالرواية الواقعية والقصص أيضا فالزمن التاريخي يلعب دوراً فعّالاً في الكثير من الروايات وكأنه قاعدة لها.

خاصة إذا " كانت الرواية تاريخية، فإنك ستشعر بذلك التاريخ تبعاً للحالة السيكولوجية التي تقع فيها الرواية... فإنك ستتعامل مع زمنها كما لو كنت ممتداً، وربّما ستشعر أنك أحد أولئك الذين وقع عليهم الظلم رغم أنهم قابعون في أعماق التاريخ"[3].

فالرواية التاريخية تجعلنا نخوض غمارها وكأننا أحد شخوصها فنتأثر بأحداثها، فالتاريخ هو خط التتابع للأحداث والوقائع مما يزيد القارئ تشويقاً وتأثيراً بمجريات الرواية.

---

[2] المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[3] أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ص87.

الفصل الثاني:

تجليات المفارقات الزمنية على مستوى رواية

" دمية النار " لبشير مفتي

المبحث الأول : السرد الاستذكاري (الاسترجاع)

المبحث الثاني : السرد الاستشرافي (الاستباق)

المبحث الأول: السرد الاسترجاعي

1_الإسترجاع: Analepsie

من التسميات التي تندرج ضمن هذا النوع نجد: اللواحق، الارتداد، الإرجاع، والسرد الاستذكاري. وهي من أكثر التقنيات الزمنية استعمالاً في الروايات وهي« مفارقة زمنية باتجاه الماضي انطلاقاً من لحظة الحاضر»[1] . حيث تعد لحظة الحاضر النقطة الزمنية المرجعية التي على أساسها تعرف الاسترجاع على أنه ذكر لأحداث سابقة للحظة الحاضر وبهذا فهو راجع إلى الوراء وارتداد إلى الخلف، فالسارد كذلك يقوم بترك لحظة حاضر السرد « ليعود إلى بعض الأحداث الماضية ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها»[2].

والغالب في هذا النوع هو استعمال صيغ الماضي في سرد الأحداث كونها أحداً مرّ عليها الزمن. لذلك تنقسم هذه التقنية إلى ثلاثة أنواع:

أ) الإسترجاعات الداخلية: Les Analepsies interne

وهذا النوع «عبارة عن خروج مؤقت من المسار الطبيعي للسرد يذكر حدث وقع داخل زمن الحكاية» [3]. أي أن يكون الارتداد في هذا النوع من الاسترجاع إلى نقطة مضت وتجاوزها السرد ولكنها تقع داخل الزمن القصصي، وهي استرجاع لماضٍ وقع بعد بداية الرواية قد تأخر تقديمه في النص.

وكذلك نستطيع القول إن هذا النوع من الاسترجاع « يتعلق بالفضاء الداخلي للحكاية وهو يستعيد الأحداث التي حدثت داخل الحكاية عن طريق الشخصيات أو الراوي»[4]. أو على حد تعبير جنيت « العودة إلى الوراء» [5].

ومن النماذج التي تعكس حضور هذا النوع من الإسترجاعات على مستوى رواية دمية النار قول السَّارد: « تركت أمر رضا شاوش بعدها أو تركني هو،(...)، و لم يكن أحد يستطيع التكهن إلى أين تسير الأمور، (...)، وكنت قد أنهيت لتوي دراستي الجامعية حينما بدأت تحدث الاغتيالات العجيبة في صفوف المثقفين، (...)، وقتها رأيت رضا شاوش جالسا في إحدى الحانات، (...)،

---

[1] جير الدبرانس، قاموس السرديات، ط1، ثر السيد أمام، ميريت للنشر والمعلومات، 2003، ص16.

[2] سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، ص 40.

[3] بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، ط1، علم الكتب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص17.

[4] حسين كياني وآخرون، دراسات نقدية في توظيف الاسترجاعات في قصة النبي يوسف عليه السلام، (دراسة على أساس نموذج جيرار جنيت)، مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها ، فصلية محكمّة، ع 14، 2013م، ص 150.

[5] محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2005، ص109.

وظننت أنه سيفرح مثلي حينها برؤيتي (...) وإنني أنتمي لشيء قديم في حياته»[1]. حاول الروائي ربط حدث ماض بأحداث سابقة من أجل سد ثغرة. والتذكير بأحداث وقعت قصد تأويلها وفق معطيات جديدة.

وتستمر العملية حيث يقول: « وكنت، أعطي الانطباع لمن حولي بأنني كنز أسرار لا ينضب، (...) لم يكن عندي أصدقاء كثر ،(...) وكنت إلى حد بعيد رومنسياً جداً، (...) وكانت حياتي في الحب والعواطف مثل سيرة بحار تائه (...)، فلا يمكنني اختصار كل شيء في من أحببت فقط»[2]. وهذا المقطع سيبيّن لنا عملية التذكير بماضي الشخصية وتقديم وصف لحالتها النفسية واتجاهاتها الفكرية وتأويلها. يقول:

« ولدت في حي شعبي اسمه بلوزداد (...) ، كانت بيوتنا مكتظة دائما (...) و كنت أحب تلك الأزقة الضيقة (...) كنت أحب وأنا صغير أن أتمشى مع أخي الكبير متشبثا بيده حتى لا أضيع أو أسقط (...) كان يخيل إلي أنهم سعداء بالفطرة (...) وهم المنفيون في بلادهم منذ مئات السنين...»[3] . فالسارد يسترجع ماضياً من حياته وهذا بغية تقديم سيرة ذاتية عن حياته.

ومن خلال هذه العملية الاسترجاعية تطرق للأفعال الموظفة والتي تجسد الاسترجاعات. مثلا : تركت، كنت، رأيت، المقترنة بتاء الفاعل التي تدل على التأكيد الشخصي، هذه الأفعال التي زادت من حدة وعمق العملية السردية الاسترجاعية فلو وظف السارد الفعل مثلا: " رأى" بدلا من "رأيت" لما كانت لهذه العملية واقعاً. وتبقى عملية السرّد بأسلوب الاسترجاع قائماً يقول:« أما أبي فلا أتذكر كم مرة صحبني معه خارج البيت، وكانت المناسبات دائما محددة، (...) وكانت تلك هي المرة الأولى والأخيرة التي فعلها معي»[1]. فهو بصدد تقديم عرض عن شخصية جديدة في أحداث القصة، وتتصاعد هذه الأحداث في هذا المقطع الذي يحاول من خلاله وصف شخصية الأب يقول:« كنت أنتبه لكل كلمة تقال عن أبي هنا وهناك(...) كنت وأنا طفل لم يبلغ العاشرة بعد أنتبه لمن يتحدث عنه (...) كانت لدي أسئلة كثيرة، (...) كما لم يكن هناك أي أحد يتكفل بالإجابة عليها» [2]. فهو يقدم وصفاً للشخصية ثم ينتقل بنا إلى وصف شخصية مغايرة يقول:« كانت معلمة العربية امرأة ودودة للغاية (...)، لم تستعمل العنف قط (...) وكانت في كل خميس تهدينا كتابا للقراءة (...)، كانت تبدو متحررة من الخارج (...) بالنسبة لي كانت بمثابة الملاك الصافي (...) كانت تعيرني من مكتبتها قصصا طويلة (...) كنت أستفيد منها بشكل رائع (...) وكانت معلمتي هي محور كلامي كله بعد أن أخرج من المدرسة» [3]. فالسارد يسترجع ماضيا يتعلق بشخصية جديدة من خلال تنوير اللحظة في حياة الشخصية

---

[1] بشير مفتي، رواية دمية النَّار، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1،2013، ص17.

[2] المصدر نفسه، ص 23،24.

[3] المصدر نفسه، ص 24،25

[1] بشري مفتي، دمية النَّار، ص 26.

[2] المصدر نفسه، ص 28.

[3] المصدر نفسه، ص 29،30.

وذلك بتسليط الضوء على جوانب كثيرة من ماضيها وعالمها الداخلي بأبعادها النفسية والاجتماعية ومحاولة ربط هذه الشخصية بالبطل.

ثم يعاود الحديث عن شخصية الأب « كان أبي يحب خطب الرئيس بومدين(...) يخطب بصوته الرعدي الجهور وأبي يصفق كأبله وراءه...»[4] . يحاول السارد تقديم نظرة عن اتجاه إيديولوجي للشخصية ومحاولة منه لربط هذه الأحداث بأخرى سابقة قصد تأويلها « كانت السبعينات تعني، الكثير من الأشياء(...) ولم أصل للنضج رغم شقاوتي الكثيرة»[5] فالسارد يذكر هذا الحدث بغية محاولة تقديم تأويلات وربطها بأحداث سابقة.

وهنا يقدم وصف لشخصية جديدة يقول: « كان عمي العربي هو معلمي السياسي وأبي الروحي، وفي تلك البدايات الأولى كنت أصغي إليه كمرشد حقيقي، كان نقيض أبي في كل شيء، وكان عكسه يتكلم عن الزعيم بطريقة فيها النقد اللاذع، والسخرية (...) كان يتحدث بإطناب، مسترسلاً في شرح وجهة نظره التي كان يراها كالحقيقة، (...) وكانت ثقافته السياسية تسمح له بالحديث دون توقف (...) ويكسر تلك الرؤية تكسيراً موحشاً، وقد حولها لأحلام مفتتة على آخرها» [1] .

لهذا الاسترجاع وظيفة تكرارية تأكيدية من أجل التذكير بحدث مهم قد أحدث فرق في سير الأحداث المسرودة. وتظهر فاعلية الاسترجاع في هذه النماذج من خلال توظيف للفعل "كانت" أو "كان" ذي الدلالة الماضية والذي يدل أيضاً على الكينونة. ففي كل مرة يوظفه إلا واسترجع من خلاله أحداثاً جديدة. ثمّ يعود إلى نقطة زمنية سابقة متعلقة بعمي العربي: « عرفني على جماعته التي كانت تنشط في الخفاء (...) جماعته الصغيرة لم تكن إلا مجموعة من الشباب الذين يدرسون في الجامعة (...) يتكلمون بلغة لم أكن أفهمها حينها، كانت تبدو مثل شيفرات سرية » [2] يسترجع السارد هذه الأحداث من أجل تقديم ملامح عامة، واتجاهات خاصة لهذه المجموعة السرية باعتبار أنها شخصيات جديدة قد دخلت أحداث القصة، يذكر هذه الأحداث من أجل تأويلها من جديد. ويكمل حديثه « خطيبهم كان في الأربعين (...) وحتى يظل في منطقة الأمان»[3] السارد في هذا الاسترجاع يقدم وصفاً مورفولوجيا لشخصية جديدة وهذا من أجل تنوير اللحظة في حياة الشخصية. وتستمر الأحداث الاسترجاعية حيث يقول: « قيل لي: أنه تعذب على يد والدك، عذبه والدي أكثر من مرة ونجا من الموت بأعجوبة، وإن جسده منتهك ومحروق، وإنه صمد»[4].

---

[4] المصدر نفسه، ص 31.

[5] المصدر نفسه، ص 36.

[1] المصدر نفسه، ص36،37.

[2] المصدر نفسه، ص نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص نفسها.

[4] المصدر نفسه ، ص 38

نجد السارد يسد ثغرة بإراده لحدث تجاوزه السرد وباسترجاعه لماضي الشخصية حيث يقوم بربط هذا الحدث بأحداث سابقة قصد تأويلها. ويقول أيضاً « تركت الجماعة بعدها غير نادم، أو كمن خرج من حلمه ذاك مستيقظاً (...) تركتهم وخرجت لنفسي عارياً(...) غير قادر على الذهاب لأبعد نقطة أرغب في الوصول إليها»[1] يسترجع السارد هذه الأحداث من أجل ربطها بأحداث سابقة وكذا أحداث لاحقة قصد تأويلها وفق الأحداث الجديدة الواردة في القصة. وبعدها ينقلنا إلى استرجاع احداث أخرى و شخصيات مغايرة يقول: « كان صديقي عدنان يسرح بتفكيره إلى بعيد (...) مقتنعاً بأن لا أحد سيساعده مستقبلا إلا تكوينه العلمي» [2] هذا الاسترجاع جاء لتقديم معلومات عن شخصية جديدة دخلت الأحداث. هذه المعلومات متعلقة بالجانب النفسي، الاجتماعي وكذا العلمي لها، وإظهار علاقة هذه الشخصية بالبطل السارد. والذي يكشف لنا عن هذا الوصف قوله « كنت أدرس بثانوية الأمير عبد القادر، وتدبرت عملاً بمكتبة عمي السعيد أقتات منه» [3] يورد هذه الأحداث من أجل إبراز تحولات طرأت على حياة البطل للكشف عن تطورها وإدخال شخصيات جديدة مثل شخصية (رانية).

« كنت أقرأ الكتب، ليلاً وأتخيل نفسي في سرير امرأة هي في الغالب الفتاة رانية التي تكبرني بثلاثة أعوام، والتي كانت تلهب خيالي كل ليلة» [4] دخول شخصية جديدة. وأحداث القصة تتطلب إيراد أحداث ماضية متعلقة بهذه الشخصية وإيضاح علاقة هذه الشخصية بسير الأحداث وتشابكها، وكذلك الرابط الحقيقي بين شخصية (رانية) وبين السارد (رضا)، وهذا لأهمية هذه الشخصية التي تشكل منعرجاً في حياة السارد (رضا) وكذلك منعرجاً هاماً في سير الأحداث والشيء الملفت في هذه العمليات الاسترجاعية أنه في كل مرة يدخل شخصية جديدة يربطها بواقع ماضي.

« كانت في الثامنة عشر (...) كنت أتبعها في الصباح والمساء (...) لهذا جاءت صدمة علاقتها مع ذلك الشاب مروعة للغاية، وجارحة لكبريائي ورومانسيتي حينها»[1].

يقدم وصفاً لملامح الشخصية، هذا الاسترجاع عرضه للتكرار والتأكيد على أهمية الدور الذي ستلعبه هذه الشخصية، وهذا واضح من خلال تقديمه الوصف الدقيق لها وبعد كل هذا المسار الاسترجاعي يعود لذكر شخصية الأب يقول « دخل أبي حالته النفسية تلك عندما سمع بمرض الزعيم، كانت الإشاعات تنزل من كل صوب(...) وفي اليوم الذي أخبرونا فيه بموته، دخل أبي حالة من الصمت(...) ثم صار شخصاً آخر(...) وصار منظره يشبه أسداً ميتاً لا يخاف أحد» [2] جاء هذا الاسترجاع ليبين عمق التغير الذي طرأ على الشخصية وإجراء مقارنة بين ماضي الشخصية وحاضرها ومحاولة تأويل هذه الحقائق. والملفت للانتباه في هذه

---

[1] بشير مفتي ، دمية النارّ، ص 41.

[2] المصدر نفسه، ص 42.

[3] المصدر نفسه ، ص نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص 42،43.

[1] بشير مفتي، رواية دمية النَّار ، ص 43،44.

[2] المصدر نفسه، ص 43.

الأحداث أنها لا تسير على وتيرة واحدة والدليل على ذلك أنه في كل مرة يذكر شخصية جديدة إلا ويعود لشخصية الأب التي احتلت مكانة واسعة في الرواية وهذا ما تجسده تقنية الاسترجاع.

ويعود ويدخل شخصية جديدة حيث يقول « سألني سعيد بن عزوز (...) بعد سنوات إلتقيت به، وقد صار محققاً معروفاً بمركز شرطة حي (بلوزداد). قرأت أخباراً عنه في بعض الصفحات المتخصصة بالجرائد اليومية، خاصة في ما يتعلق بتفكيك شبكة دعارة سرية »[3] هذا الاسترجاع جاء ليبين التحولات التي طرأت على الشخصية الجديدة، وإجراء مقارنة بين ماضي هذه الشخصية وحاضرها لتبين الاختلاف بين الماضي والحاضر بالنسبة لها. ويكمل السارد الحديث حيث يقول « كنت أيامها أعمل محاسباً في مؤسسة خاصة (...) وكنت أتابع التقلبات والتحولات بعين مدققة (...). وكانت قراءة الجرائد تساعدني على الفهم (...) ليس لأنها كانت تتضمن معلومات كافية أو تحليلات دقيقة صائبة، ولكن لأن الصراعات الكبيرة التي تحدث بين أهل الظل كانت معظم الوقت تحسم على صفحاتها، وتتمظهر في مثل هذه الأخبار والتصريحات التي لا يفهمها إلا من يقرأ بين السطور، لا ما هو واضح منها...»[1]

هذا الاسترجاع كذلك ورد من أجل تقديم معلومات جديدة عن شخصية البطل وتبيين التطور والتحول الذي طرأ عليها مع ضرورة الزمن. ثم يعود إلى شخصية (رانية) حيث يقول « لم أتصور أنني سألتقي أيامها برانية من جديد، رانية(...) القصة الغير ممكنة والحلم المجروح (...) عندما شاهدتها في دكان لبيع الملابس الجاهزة، تجمد الدم في عروق قلبي (...) وأنا أسترجع آخر صورة بقية راسخة بذهني وأخوها ينهال عليها بالضرب الموجع والركلات غير الرحيمة (...) مدركاً في طوايا نفسي أن كل ذلك الذي يحدث، يحدث نتاج ما أقدمت عليه من وشاية بقيت لسنوات تؤنب ضميري بقسوة...» [2]. الكشف عن أهم التطورات في الأحداث التي طرأت على الشخصيات « إتصلت بأخي ضابط السجن وأخبرته بما دار بيني وبين سعيد من كلام، فبقي يستمع إلي منتبهاً لكل كلمة أنطق بها، ثم أخبرني أنه سيتكلف بالأمر. تركته يتكلف بالأمر وسافرت لمدينة بعيدة كما طلب مني أخي ذلك (...) دون رغبة من الاختلاط بناسها وسكانها فلم يكن ذلك همي بالفعل . غير أن القدر جمعني بماضي فجأة»[3] بيَّن لنا هذا المقطع التطورات في الأحداث وكذلك بيَّن كيفية تعامل الشخصية مع أحداث جديدة، ثمّ يعود إلى شخصية رانية حيث يقول « ولولا أن رانية مسعودي سألت عني في تلك الأيام لوجدت نفسي في بئر الكآبة العمياء، أغرق من دون أيّ أمل في النجاة» [4] جاء لإبراز تطور الأحداث في القصة.

---

[3] المصدر نفسه، ص 49.

[1] بشير مفتي، رواية دمية النَّار ، ص 50.

[2] المصدر نفسه، ص 57.

[3] المصدر نفسه، ص 67،66.

[4] المصدر نفسه، ص 74.

« لكن عندما قابلت أخاها (كريم) لم أقل له أي شيء (...) كما تصورته تماماً، جباناً أمام من يراهم يمثلون سلطة ما، كنت أعرف هذا منذ صغري، كان مذموماً من كل أطفال ومراهقي الحيّ. متعنتاً جباراً عندما يقوى على إيذاء من يراهم أضعف منه.

أما انا فلم يكن ليفعل أمامي أي شيء، كان يخضع لي (...) رأيته يجلس في مقهى الفريق بحي "بلوزداد" (...) رآني كريم عندما رفع رأسه ليتطلع للخارج (...) لقد تحدث كحكيم جرب محنة النهاية وعاد من عالم آخر ليفهم جوهر الحياة بلا فلسفة ولا قراءات (...) كان يجلد نفسه من دون إحساس بالمبالاة» [1].

دخول شخصية جديدة كان لها داعياً في ذكر ماضيها وعلاقتها بالبطل، قصد تأويل أحداث سابقة، وفق معطيات جديدة، وهنا يجدد الحديث عن شخصية عمي العربي حيث يقول « عمي العربي الذي عاد لمهنته الصيدلة بعد ان أعيد له دكانه، فطلق تصليح الأحذية بلا رجعة» [2] يوضح التغيير الذي طرأ على شخصيته بذكر ماضيها مقارنة بالوضع الراهن.

ثمّ يكمل السارد حديثه مع عمي العربي يقول « لم تتحدث عن الشرب، أعرف هذا، ولكن الشرب جعلني في مأمن من الانفجار الداخلي، على الأقل الشرب يريح أعصابي ...» [3] جاء هذا الاسترجاع لسدّ ثغرة، وسرد حدث تجاوزه السرد وجب ذكره من أجل تقديم تأويلات له وفق أحداث جديدة. ثمَّ يعود إلى الحديث عن رانية يقول: « أخوك تغير كثيراً، واظن أنه لن يقف في طريقك هذه المرّة» [4] يبيّن كذلك تطور الأحداث « أن أنصحك باغتنام الفرصة (...)، قبل أن تخرج من هنا أريد أن أعرف إن كنت ستكون معنا أم لا، في أي شيء؟ (...) أيّة مهمة؟ (...) ستكون رسالة شفوية على أي حال، قل إن الجماعة لن تقبل أن يغتني شخص دون حمايتهم (...) في الحقيقة هي أقرب للخدمة منها للشرط، أريد أن أعرف أين تسكن امرأة فرت من بيت عائلتها منذ فترة» [5] جاء ليصرح بأحداث جديدة حدثت للشخصية قصد تأويلها تأويلات بربطها بالوضع الراهن ومقارنتها بما في الشخصيات، ثمّ يكمل استرجاعه للماضي من خلال «كنت أعرف بأن خبث سعيد سيجعله يفكر كثيراً في سبب تحري عن رانية مسعودي (...). بلغني أنها هربت من البيت (...) وأنَّ أخاها كريم يبحث عنها مجدداً، يقسم بأنه سينتقم لشرفه بذبحها، حتى عادت لي رغبتي في رؤيتها مرّة أخرى، والوقوف إلى جانبها مجدداً...» [1] فهو يحكي عن تطورات جديدة تتعلق بشخصيات ومجريات الحكاية، هذه الأحداث تترتب عنها أحداث أخرى مهمة في الحكاية.

---

[1] بشير مفتي، رواية دمية النَّار ، ص 78،79.

[2] المصدر نفسه، ص 86.

[3] المصدر نفسه، ص 89.

[4] المصدر نفسه، ص 92.

[5] المصدر نفسه، ص101-103.

[1] بشير مفتي، دمية النّار، ص 103،104.

ثمّ يواصل السرد « لقد وجدنا مكان إقامتها، تسكن بحي (قصديري) مع شخص اسمه " علام محمد» [2] جاء ليحكي عن حدث جديد ومهم لشخصية رانية التي لها منعرجاً هاماً في حياته فيما بعد.

« في الغد من ذلك اليوم عدّت لذلك الحي القصديري (...) ثمّ طرقت الباب فسمعت صوت...» [3] الكشف عن عمق التطور في الحدث، حيث يبيّن هذا الاسترجاع فعلاً أن الأحداث تتطور وفق وتيرة سريعة، أليس بالماضي البعيد كان يتمنى أن يلمح وجهها، واليوم هو واقف أمام منزلها (...) « قمت من على السرير وأمسكتها من كتفها العريض، (...) كانت لحظة سيئة دون شك، مليئة بالغموض والتنكر (...) وأنني من تلك اللّحظة قد ذهبت للضفة الأخرى من العالم »[4].

لأهمية هذا الحدث بحيث يعد نقطة فارقة في حياة الشخصية تؤدي إلى تأويل الأحداث بمقارنتها بماضٍ وما هو آتي. ويقول أيضاً:« زوجها سافر إلى كندا وتركها وحيدة مع ابن ظل، يقول إنه ليس ابنه» [5] تظهر وظيفة الاسترجاع في هذا المقطع من خلال ربط هذا الحدث بالماضي وتقديم تأويلات جديدة " لأنه ابننا معاً (...) لو أخبرك بذلك لأنني كنت غاضبة منك ولكن زوجي عرف الحقيقة لأنه لا ينجب، وهرب بعدها وتركني لوحدي في ذلك الكوخ الحقير" [6] جاء الاسترجاع لسد ثغرة زمنية وذلك بسرد أحداث تجاوزها السرد، كان لابد العودة إليها من أجل ربط ماضي الشخصيات وتقديم تفسيرات وتأويلات جديدة تحقق غاية معينة يتطلبها العمل السردي، ثم ينتقل إلى ذكر شخصية جديدة حيث يقول « عندما بلغ عدنان التاسعة عشر من عمره فرّ من البيت (...) لقد حزّ في نفسي أنه لم يختر إلاّ هذا الطريق السيء (...) خاصة و أنهم كانوا يملؤون رأسه بالأكاذيب عني »[1].

كذلك جاء لسدّ ثغرة زمنية بسرد أحداث تجاوزها السرد كان لابد من العودة إليها من أجل ربطها بماضي الشخصيات.

« ثمّ قالت: أولم تسمع بأنني متزوجة من سعيد بن عزوز» [2] هذا حدث مهم في القصة كان تجاوزه من تقنيات السرد ولكن وجب ذكره لأنه حدث مهم يساعد على تأويلات الأحداث السابقة.

ثمّ يعود إلى شخصية عدنان حيث يقول « تقدم عدنان مني ووضع فوهة البندقية على جبهتي ثمّ نظر للرجل الذي كان يختبئ في المغارة (...) ، حياتي كلها تمرق كشريط سينمائي قدام عيني (...)، مت يا كلب (...) دماؤهم تسيل وعيونهم تبرق» [3] هذا

---

[2] المصدر نفسه، ص 104.

[3] المصدر نفسه، ص 107.

[4] المصدر نفسه، ص 111،112.

[5] المصدر نفسه، ص 124.

[6] المصدر نفسه، ص 162.

[1] بشير مفتي، دمية النار، ص 162،163.

[2] المصدر نفسه، ص 163.

[3] المصدر نفسه، ص 166،167.

الاسترجاع يبيّن فعلاً عميق التطور في الأحداث، والتحولات الكثيرة التي تطرأ على الشخصيات بصفة عامة، وهنا تبقى النهاية مفتوحة فمصير البطل مجهول إلى حدّ اليوم.

ب) الإسترجاعات الخارجية: Les Analepsies externe

وهي استرجاع « الوقائع الماضية في أثناء السرد الحاضر السردي حيث يستدعيها الراوي في أثناء السرد، وتعد زمنياً خارج حقل الزمني للأحداث السردية الحاضرة في الرواية » [4]، كما « تتضمن اللاحقة الخارجية حدثاً لاحقاً وقع خارج زمن الحكاية الإطار» [5]، بمعنى أن الارتداد يكون بالعودة إلى النقطة الزمنية التي وقعت قبل النقطة التي انطلقت منها أحداث الحكاية، ومن النماذج الواردة في الرواية نجد قول السارد « عرفت رضا شاوش وقد تجاوز الثلاثين بأربع أو خمس سنوات كان يبدو أكبر من سنه (...) وكان ذلك هو الطعم الذي حرك فضولي أوّل الأمر»[1] ، وتكمن وظيفة هذا الاسترجاع في الكشف عن شخصية جديدة بذكر ماضيها وتقديم صفاتها وملامح عنها وعلاقتها بالبطل.

« آثر الصمت بدوره فيما غطست أنا في قعر ذاكرتي أيام الصلاة (...) وأضيع في ذلك الرعب الذي لا مثيل له» [2] . فهو من خلال هذه النماذج يحاول إعطاء الأحداث طابعاً واقعياً من خلال استرجاعات متعلقة بماضي الشخصية والتي تبيّن اتجاهه وانتمائه ثمّ يواصل الحديث عن أبيه يقول « لم يدرس أبي بسبب الظروف التي عاشها قبل الاستقلال » [3] هنا يقوم السارد بتقديم لمحة عن ماضي الشخصية باستعادة ماض بعيد متعلق بالشخصية، بذكر أبعاد نفسية واجتماعية ثمّ ينتقل إلى وصف شخصية جديدة يقول: « كانت أمي ريفية في سلوكها، تزوجها أبي وهي لم تبلغ الرابعة عشرة من عمرها (...) حيث ولدت عام 1960 وكبرت في ذلك الزمن المبهم والغامض من الحياة، زمن الخروج من الاحتلال الذي لا أتذكر منه أي شيء»[4] السارد يعرفنا بشخصية جديدة قد دخلت أحداث القصّة وهذا من خلال ذكر ماضي من الشخصية وتقديم معلومات ذاتية عنها ويربطها بعلاقة معه ومع باقي شخصيات القصّة.

---

[4] مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ص 195.

[5] بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، ص 17.

[1] بشير مفتي، دمية النّار، ص 6.

[2] المصدر نفسه، ص 14.

[3] المصدر نفسه، 31.

[4] المصدر نفسه، ص 34.

ج) استرجاع مزجي (مختلط): Les Analepsies mixtes [5]

يعد الاسترجاع المزجي أقل استعمالاً، وسمي مزجياً لأنه « يجمع بين النوعين»[6] السابقين للاسترجاع الداخلي والاسترجاع الخارجي، وبذلك يقصد بالاسترجاع المزجي. « العودة إلى نقطة سابقة على نقطة الانطلاق، ولكنها تستمر تصاعدياً حتى تتجاوز نقطة الانطلاق، وصولاً على النقطة التي توقف عندها السرد، وقد لا تصل إلى نقطة التوقف هذه» [1] فنقول خارجي لأنه انطلق من نقطة زمنية وقعت خارج نطاق المحكي الأول، وفي نفس الوقت داخلي لأنه امتد وصولاً للالتقاء مع المحكي الأول.

ومن الأمثلة الواردة في الرواية نجد « قلت: في هذه الفترة بالذات تعرفت على رضا شاوش عند رجل اسمه العربي بن داود والجميع يناديه بعمي العربي، كان قد فتح بيته لجميع المشاغبين (...) وكان يسهر على راحة كل من يزوره فيهديه كتاباً (...) كان رجلاً متقدماً في السّن، (...) وسمعنا عنه قصصاً كثيرة، أنه كان مجاهداً أيام الثورة، ومعارضاً بعد الاستقلال، ودخل السجن، (...) فترك مهنة الصيدلة التي كان يعمل بها إلى تصليح الأحذية لفترة غير قصيرة، ثمّ عاد لمهنته بعد نهاية السبعينات، ورحيل الرئيس هوراي بومدين الذي كان يمقته أشدّ المقت (...) ، وكنت أذكر دائماً أن والدي كان يقول أشياء حميدة عن هذا الرئيس حتى رحل أو قتل (...) لكن ذلك لم ينقص من تقديري لعمي العربي الذي وجدت في كلامه خير زاد في سنوات شبابي تلك، وخاصة أنه كان متفتحاً ومستمعاً جيداً (...) بالرغم من الفقر والبؤس الذي كنا نعيش فيه، وبقينا بداخل إدارته نتلوث يوماً بعد آخر» [2]. جاء هذا الاسترجاع لسد ثغرة زمنية تخطاها السرد للكشف عن شخصية جديدة ومحاولة ربط الأحداث ببعضها، وإجراء مقارنة بين الوضع الراهن والماضي البعيد ثمّ يواصل حديثه « لم يكن الدين في فترة شبابي مهماً، بل كنا نعيش فورة اللادين، لكنني الآن، أشعر أنه صار يشغل وجدان الناس» [3] فهو يحاول الكشف عن اتجاه ايديولوجي وفكري من ماضي الشخصية ومحاولة ربطه بحاضر هذه الشخصية.

« ولا أنسى طبعاً يوم دخولي المدرسة، بمئزر أبيض، خاطته لي جارتنا "سعيدة" التي كانت تعمل خياطة في بيتها معتمدة على نفسها في تربية اولادها السبعة بعد وفاة زوجها، "مقران" خلال الثورة» [1] مازال السارد يسترجع ذكرياته الماضية ويربطها بأحداث سابقة، وهذا من خلال توظيفه لأفعال ماضية مثل (تعرفت، كان، ترك ، عاد، كنت،...) التي لها دلالة على الاسترجاع وكذلك توظيفه لأفعال مضارعة مثل (يسهر، أشعر، يشغل ...) التي لها دلالة الاستشراف أو لحظة الانطلاق، لكي تربط بين الماضي والحاضر والمستقبل.

---

[5] سيزا قاسم، بناء الرواية، ص 58.

[6] محمد سالم سعد الله، أطياف النّص، دراسات النقد الإسلامي المعاصر، عالم الكتب الحديث، ص 163.

[1] عبد العالي بوطيب، اشكالية الزمن في النّص السردي، مجلة فصول، دراسة الرواية، المجلة 12، ع2، 1993م، ص 135.

[2] بشير مفتي، دمية النار، ص 8،7.

[3] المصدر نفسه ، ص 13.

[1] بشير مفتي، دمية النَّار، ص 26.

المبحث الثاني: السرد الاستشرافي (الاستباق)

1-السوابق: Prolepses

ولها تسميات أخرى وهي الاستشراف وهي مفارقة زمنية « تتمثل في إراد حدث آت أو الإشارة إليه مسبقاً» [1] وهي نوع من الترقب والانتظار لما هو آت يعيشه القارئ أثناء قراءة النّص وهذا ما يسبب «كسراً لوتيرة السرد وتشويش لترتيب الوقائع كما وردت في الحكاية» [2] أو بعبارة أخرى يعني « التلميح لواقعة مستقبلية» [3] يقصد بذلك أن الكاتب يلعب بالأحداث وهو في حالة من الترقب و الانتظار وتغير في مسار الأحداث على خلاف ما وقعت في الحكاية باعتبارها لا تسير وفق وتيرة واحدة.

ويميز "جيرار حينات" بين نوعين من السوابق وهي:

أ) السوابق الداخلية : Les Prolepses interne

وتتمثل في « سرد حادثة سابقة على النقطة التي توقف عنها السرد، ولكن داخل الإطار الزمني للحكاية ككل» [4] أي أن السارد بصدد سرده للأحداث يتوقف عند لحظة الحاضر منتقلاً إلى المستقبل شرط ان يكون داخل الحكاية، ومن أمثلته يقول « وبداخلي بقيت متأكداً من أنّ شيئاً ما سيربطنا بالتأكيد، أو سيجعل قدره مرتبطاً بقدري، أما كيف، ولماذا سيحدث ذلك فلم تكن عندي أدنى إجابة» [5] يمهد لحدث رئيسي ومهم فيخلق نوعاً من الترقب والانتظار لكي يزيد من حدّة التشويق والإثارة لما سوف يحدث فيما بعد، ثمّ ينتقل إلى شخصية أبيه حيث يقول « مات أبي منتحراً وهو في الرابعة والخمسين» [6] هنا السارد استبق حدثاً مهماً في الحكاية، لكي يبيّن لنا أن والده كان يعاني من مرض نفسي وأنه تكهن له بالانتحار لاحقاً، ثمّ يواصل الحكي عن شيء آخر يقول «كانت العملية مدبرة، كما سأعرف لاحقاً من طرف البعض»[1] هنا السارد يقوم بإعلان حدث انتهى إليه وهذا بإشارة واضحة ومحاولة منه لفت انتباه القارئ، ويكمل السارد حديثه « إن حياتي ستأخذ منعرجات مختلفة، وسبلاً متشبعة، إنني سأتوه حتماً في متاهات غريبة وموحشة، وقد لا أجد في تلك الدوامة ما انشده حقاً ! كان يستبدني هذا اليقين، لا أعرف لماذا؟ هل يستطيع الإنسان التكهن بأنه محكوم بالسير في طريق مختلف عن طرق الآخرين، وهو يودع بهجة الطفولة (...) وأن الخيارات التي ستتاح لي ستكون سيئة، وأنه عليّ رغم ذلك المضي فيها (...) ومن جهة أخرى كان علي مقاومة غموض ما احلم به،

---

[1] سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ص 80.

[2] كمال الريحاني، حركة السرد الروائي ومناخاته، في استراتيجية التشكيل، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 2005م، ص 110.

[3] أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ص 36.

[4] بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، ص 74.

[5] بشير مفتي، دمية النَّار، ص 11.

[6] المصدر نفسه، ص 28.

[1] بشير مفتي، دمية النار، ص 30.

غموض لحظتي النفسية المعقدة بكل ما يلجمها، ودفعها كي تذهب إلى أعماق الأمل» [2]. يحاول السارد لفت انتباه القارئ وجعله عنصراً فاعلاً في بناء النص من خلال محاولات التأويل الناتجة عن الفضول وما خلقه الاستباق من تشويق وحالة توقع وانتظار لما هو آت ومدى تحقق هذه التنبؤات في المستقبل السردي يقول : « سألتقي به بعد ذلك بسنوات طويلة، وأراه شخصاً فقد كل ذلك البريق الخفي الذي كان يميّزه (...) رأيته يشرب في بار صغير لوحده (...) لن أرثي وضعه لأنني فيما بعد، صرت في مثل حاله تقريبا، فقط بصورة مختلفة» [3].

يقدّم لنا السارد هنا إعلاناً عن حدث بطريقة مباشرة وصريحة من أجل إجراء مقارنة بين وضع سابق ولاحق، لهذه الشخصية طلباً من القارئ التفاعل مع النص ومتابعة التسلسل في الأحداث وتستمر العملية بقوله: « وعرفت بعدها لماذا كانت ترفض، حين عثرت عليها مرّة في شارع قريب من حيّنا تمشي مع شاب يكبرها بسنوات عديدة» [4] هذا الاستباق في الأحداث جاء للكشف عن جوهر التأويلات التي تخضع لها الأحداث وهي بمثابة تمهيد لأحداث مهمة ستأتي تبعاً لهذا الاستباق ليلفت انتباه القارئ و ليكسر وتيرة السرد.

« مرض أبي النفسي، وانتحاره لاحقاً »[1] هذا الاستباق جاء مكرراً لأنه سبق وذكر أن والده سينتحر، وهذا التأكيد لأهمية الحدث، وتستمر هذه العملية الاستشرافية بقوله « لا أدري لماذا شعرت أن وراء دعوته لشرب القهوة شيئاً آخر، وانه كان عليّ أن احترس وانا أسير، وأنه في النهاية لابد من دفع فاتورة كنت أتمناها غير مكلفة» [2].

بيّن هذا الاستباق أن السارد "البطل" هو سارد عليم، فهو يمهد لما سيكون من أحداث رئيسية تفجر وراء هذا الحدث المستبق، ليجعل القارئ متفاعلاً مع الشخصية وأحداث القصة، حيث نرى أن السارد استعمل مثلاً الأفعال (سأعرف، سألتقي، ... إلخ) المقترنة بسين المستقبل التي تدل على أن الحدث لم يحدث بعد وإنما هناك استشراف له « أن السين وما بعدها استئناف لما سيحصل في المستقبل» [3] فهو يستشرف المستقبل ليحقق ما لم يحققه في الماضي.

ب) السوابق الخارجية: Les prolepses externe

وتتمثل في « سرد حادثة سابقة على الإطار الزمني للسرد ككل، أي سابقة على زمن الحكاية » [4]وهو أن السارد يقوم بالانتقال من سرد الأحداث الحاضرة بالانتقال إلى المستقبل وهذا يكون خارج زمن الحكاية، ومن امثلته « أشعر أنني سأملك تلك

---

[2] المصدر نفسه، ص 36.

[3] المصدر نفسه، ص 37،38.

[4] المصدر نفسه، ص 43.

[1] بشير مفتي، دمية النار ، ص 46.

[2] المصدر نفسه، ص 51.

[3] مالك يوسف المطلبي، الزمن واللّغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1986م، ص 279.

[4] بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، ص 75.

الحقيقة الكليّة للأدب، كنت مدفوعاً بسحر جنوني إلى هذا الطريق كان الأمر يبدو وكانه شيء يمكن ان يتحقق في يوم من الأيام (...) كنت انظر له على أنه شيء سيحدث وكفى، يوما ما كنت سأحقق وجودي الحقيقي ككاتب ليس كأي كاتب عارض، ولكن ككاتب يستحق هذه التسمية بالفعل » [5].

كذلك السارد يقوم بالانتقال من سرد الأحداث الحاضرة بالانتقال إلى المستقبل وهذا يكون خارج زمن الحكاية، ثمّ يواصل الحديث حيث يقول « ثمّ شعرت بشيء قريب من الحدس أنه سيفاجئني بالتأكيد، تكهنت له بالانتحار لاحقاً » [1] هنا يمهد لما هو آت من أحداث رئيسية وهامة وبالتالي يخلق لدى القارئ حالة من التوقع والانتظار. وهذه النماذج تجسد دلالياً من خلال توظيفه لأفعال تفي بالغرض كالانتقال من الماضي الحاضر ثم المستقبل، بحيث ان الأحداث السابقة يمثل لها بالفعل (كنت) والحاضر والمستقبل يتجسد من خلال الفعل سأحقق... إلخ.

---

[5] بشير مفتي، دمية النَّار، ص 5.

[1] بشير مفتي، دمية النار، ص 6.

خاتمة

خاتمة:

من خلال ما تقدّم من دراسة للمفارقات الزمنية تبيّن أنّ لها دوراً هاماً وفاعلاً على صعيد أحداث الرواية فمن المستحيل وجود حدث خارج نطاق الزمن وهذا كله لا يكون إلاّ من خلال تجزئة البنية الحكائية إلى زمن الماضي، الحاضر، المستقبل.

وبعد دراستنا لرواية "دمية النَّار" وبما أنها عبارة عن سيرة ذاتية، وجد فيها بكثرة عنصر الزمن، وبذلك شكلت مجالاً خصباً لدراستنا كونها استعملت مختلف تقنيات السرد، لكن الملاحظ في روايتنا أنه غلب عنصر الاسترجاع فيها، فعنصر الزمن فيها افتقد إلى الترتيب الكرونولوجي "الطبيعي" (الماضي، الحاضر، المستقبل) فقد شابه الكثير من التشويش.

وفي مقابل ذلك وعلى صعيد الاستباقات لا نلمس نفس الحضور خاصة فيما يتعلق بالمقدمة أو المدخل الذي خصّه "بشير مفتي" قبل البدء في سرد احداث الرواية الحقيقية لـ "رضا شاوش".

لقد أسهم هذا التلاعب الزمني الذي خص به بشير مفتي روايته في إضفاء طابع جمالي ورونقاً مما يشد القارئ ويعطيه دافعاً مشوقاً لقراءتها والتعطش لمعرفة ما ستؤول إليه أحداث هذه القصة، مما يبقي هذا الأخير عنصراً إيجابياً في تلقي الرواية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **المصادر:**

1- ابن منظور، لسان العرب ، ج08-07، الطبعة الرابعة، دار صادر للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 2005م.

2- بشير مفتي، دمية النَّار، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013م.

3- فيروز أبادي، القاموس المحيط ، ج04، دون طبعة، دار الجيل، بيروت، دون تاريخ.

- **المراجع:**

1- أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت الصنايع، 2004م.

2- بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، الطبعة الأولى، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.

3- جير الدبرانس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، الطبعة الأولى، ميريت للنشر والمعلومات، 2003م.

4- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (فضاء الزمن، الشخصية) ، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي ، بيروت، الدار البيضاء، 1990م.

5- سعيد يقطين، انتاج النّص الروائي، (النص والسياق)، الطبعة الثانية المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، 2001م.

6- سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، دون طبعة، الدراسة التونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2004م.

7- سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ دون طبعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م.

8- صالح ابراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف، دون طبعة، المركز الثقافي العربي لبنان، ، المغرب، 2003م.

9- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرّد، دار الغرب للنشر والتوزيع، بدون طبعة.

10- كمال الريحاني، حركة السرد الروائي ومناخاته في استراتيجية التشكيل دون طبعة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 2005م.

11- مالك يوسف المطلبي، الزمن واللّغة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دون طبعة، 1986م.

12- محمد سالم سعد الله، أطياف النّص، دراسات النقد الاسلامي المعاصر عالم الكتب الحديث.

13- محمد عزام الشعرية، الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، من طبعة، 2005م.

14- مها حسين القصراوي ، الزمن في الرواية العربية المعاصرة، دون طبعة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الجزائر، الأردن، 2004م.

المجلات:

1. حسين كياني وآخرون، دراسات نقدية في توظيف الاسترجاعات في قصة النبي يوسف عليه السلام، (الدراسة على أساس نموذج جيرار حينات) مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها فصيلة محكمة، العدد14، 2013م.
2. زينب قبي، الرواية والتاريخ آراء روائيين جزائريين في الموضوع مجلة الثقافة منشورات وزارة الثقافة، العدد التاسع، يناير 2007م.
3. عبد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النص السردي، مجلة فصول دراسة الرواية، المجلة 12، العدد 2، 1993م.

الفهرس

مقدمة:.....6

تمهيد: 9

الفصل الأول : ماهية الزمن الروائي وأنواعه

المبحث الأول : تعريف الزمن الروائي.....13

1) لغة 13

2) اصطلاحا 13

المبحث الثاني : أنواع الزمن الروائي.....14

1. أزمنة داخلية 14

أ) زمن القصة.....14

ب) زمن الخطاب 15

ج) زمن القراءة 16

2. أزمنة خارجية.....16

أ) زمن الكاتب 16

ب) زمن القارئ.....16

ج) زمن التاريخي 17

الفصل الثاني : تجليات المفارقات الزمنية علي مستوي رواية "دمية النار" لبشير مفتي

المبحث الأول : السرد الاستذكاري (الاسترجاع) 19

أ) استرجاع داخلي 19

ب) استرجاع خارجي 28

ج) استرجاع مزجي 29

المبحث الثاني : السرد الاستشرافي (الاستباق) 32

أ) الاستباق الداخلي 32

ب) الاستباق خارجي 34

خاتمة.....**37**
قائمة المصادر و المراجع
الفهرس